المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 28-09-2006 العـــدد : 12418
الصفحـات : 39 المسلسل : 320

الحروف الهجائية تشاركك نبض حبك يا وطن

وسيلة محمود الحلبي

أتيت يحملني عبر المدى قبسٌ
معطر بالشذا الفواح فتانُ
على جناحين ميمونين حفهما
من مهبط الوحي والتنزيل إيمانُ
ومن عشيات نجدٍ مستطاب صبا
رياه شيحٌ وقيصوم وريحانُ
وعشت والدرب تاريخ صحائفه
عز وأسطره للمجد تيجانُ
يفوح من سيرة الهادي وشرعته
عطراً نسائمه عدلٌ وإحسانُ
وسرتُ جيلاً فجيلاً ما اختفى علمٌ
إلا بدا من به الأعلام تزدانُ
وانشق من كبد الصحراء فارسها
يحدو فتتقاد أبطالٌ وفرسانُ
ويرفع الراية الخضراء موحده
فتستجيب ربى عطشى ووديان
وتنتشي طرباً نجدٌ معانقة
للساجدين وتبدي الحب نجران
مرابع رحبات المسجدين لها
تاج يتيه به فخراً وعنوان

اليوم تشرئب الأعناق، وتغرر العيون بالفرح العارم لذكرى اليوم الوطني، هذا اليوم الذي تعانق فيها الجغرافيا التاريخ. بيد أن المقوم الأساسي الذي تقوم عليه هذه البلاد وتتفاخر به أمام الأوطان يقوم على عنصرين أساسيين هما الوحدة والأمن، فذكرى اليوم الوطني للمملكة تمثل تجربة رائدة من تجارب الوحدة والبناء والاستقرار، وتؤكد على استمرارية الدور الحضاري الفاعل الذي بدأه موحد هذا الكيان الكبير وأكمل مسيرته المظفرة أشباله الميامين الذين حافظوا على خطواته الحكيمة ومبادئه القويمة وتطلعاته الصائبة المستمدة من الكتاب والسنة.

فاليوم الوطني السعودي فرصة لقراءة جيدة للإنجاز الضخم والتاريخ الضخم، ففي هذا اليوم تركض بنا ساعات الزمن في تفاصيل تجربة لا يسعها فضاء العالم كله، تركض بنا في مساحات شاسعة من الحلم الممتد بحجم الصحراء التي تحتوينا.

في هذا اليوم (تحديداً) ولد الحلم الكبير داخل عبد العزيز، ذلك الحلم الذي تجاوز به أبناء هذه الصحراء حالة الفرقة والشتات والنزاعات القبلية، فلم يكن من السهل صناعة وطن محرر، ولكونه - طيب الله ثراه - كان على يقين بعقيدته الراسخة وبعد نظره بأن صناعة وطن تتصهر فيه كل الكيانات يستلزم حنكة وفلسفة بحجم البراعة العسكرية نفسها، وأدرك أنه لا بد من تحرير الإنسان من عوالم التخبط والتنكل والصراعات، لذلك سعى إلى تجسيد مفهوم القيادة المتوازن في كل مرحلة من مراحل صناعة وطن اليوم والغد والمستقبل، فأصبح الانتماء للوطن هو الشعار للتوحيد، فما أروع قول أحد الشعراء حين قال:

هللي أرض الجزيرة هللي
واستجيبي لكل ديرة هللي
شيخنا شيخ العشيرة
قادنا بهذه المسيرة هللي
هذا هو عبد العزيز
بأمر مولانا العزيز
هللي أرض الجزيرة هللي

ففي ذكرى اليوم الوطني تتوارد الصور عن مسيرة شعب وقائد فذ اتخذ مكانته بجدارة في صفحات التاريخ، وفي الأذهان دائما ذلك الإنجاز الكبير المتمثل في توحيد المملكة وبدء مسيرتها العملاقة نحو آفاق البناء والنمو والفاعلية الإقليمية والدولية والريادة للعالم العربي والإسلامي، ولأن ذلك الإنجاز تحقق بالكثير من الجهد والتضحيات والدماء فإن الحفاظ عليه بل والإضافة له والانطلاق نحو المستقبل استدعى استمرار العمل بنفس الوتيرة، وإن اختلفت الظروف والمعطيات، فقد كانت لمرحلة توحيد المملكة ظروفها وأوضاعها التي تختلف عما تلاها من مراحل خاصة، وإن انطلاقة عبد العزيز الأولى كانت بأربعين فارسا يعززهم إيمان قوي بالله وقناعات راسخة بضرورة كسب المعركة بل عدة معارك فيما باتت المملكة اليوم قوة إقليمية تتوافر فيها كل مقومات الدولة الحديثة، ورغم اختلاف الظروف إلا أن الإصرار على المضي قدما بتطوير المملكة لم يختلف منذ عهد الملك عبد العزيز لأن أبناءه البررة أكدوا على الثوابت التي كانت تثري على الدوام إنجازه العملاق، فالربط بين الماضي والحاضر هو أحد الروافد الهامة لجعل هذه التجربة العملاقة حية على الدوام، وبذلك نرى أن الإرث النضالي للبطل الملك عبد العزيز هو بمثابة الشمعة التي تضيء الطريق للقادة من بعده، حيث يبقى الإنجاز المستمر منذ إعلان توحيد المملكة تقلات نوعية أحالت أرض المملكة إلى خلية عمل

المصـــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 28-09-2006 العـــدد : 12418
الصفحـات : 39 المسلسل : 320

حقيقية تزخر بالنشاط، حيث اهتم القادة الكرام بالعنصر البشري باعتبار أن الإنسان هو وسيلة التنمية وغايتها في ذات الوقت، فانتشرت الخدمات التعليمية والصحية والاقتصادية والترفيهية، وارتبطت المملكة داخلياً وخارجياً بشبكة حديثة من الاتصالات.

فهذا هو اليوم الوطني، يوم مشرق الصفحات وضاء المعالم، ففيه تتجدد الذكرى التاريخية ونحن نسير على نهج المؤسس الأول الذي جمع الأمة ووحدها والذي قال فيه الشاعر أحمد الغزاوي:

عبد العزيز وطّدت هامات العلا
وبك استطالت يعرب ونزار
ومضيت من شرق الجزيرة هازئا
بالأقوياء ولم يهلك ضمار
فإذا الشمال مع الجنوب وغربها

دعم لمجدك والخدود بحار

أما خير الدين الزركلي فقد عدد المزايا الشخصية التي يتحلى بها الملك عبد العزيز فقال:

تتطاحن الفرسان وهو كأنه
ما بينها علم يموج وحيد
لا تبلغ الأسياف من جثمانه
إلا كما خدش الحديد حديد
عرش بناه على النضال عماده
ودعامه الإيمان والتسديد
ضم القلوب موحداً أشتاتها
لله ثم لشعبه التوحيد

إن تاريخ الملك عبد العزيز، طيب الله ثراه، ثري ومتنوع لا تكفيه الصفحات، فما ذكره قليل من كثير نذكره ونعتز به لأنه ثمار جهد كبير وكفاح متواصل وعمل فاق كل التصورات، وأعظم تلك الثمار هو ما نعيشه اليوم، ونجنيه في عصرنا الميمون تحت رعاية خادم الحرمين الملك عبد العزيز، يحفظه الله، وسمو ولي عهد الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام.

فكانت بوابة الرياض فاتحة العهد الجديد حيث توالت الفتوحات وتجددت الآمال والطموحات من الرياض إلى الخرج ومنطقة الجنوب ثم القصيم فالأحساء والقطيف وعسير وتربة والخرمة ثم منطقة الحجاز، ومن خلال تلك الفتوحات انبثق إنجاز من أعظم الإنجازات في أعمال نجد هو (توطين البادية) الذي بدأ بهجرة (الأرطاوية) حتى بلغ عدد الهجر في عهد الملك عبد العزيز (١٥٣) هجرة.

واستمرت المسيرة حتى توطد الأمن، وجدير بتلك الانتصارات أن تسجل في صفحات مضيئة يقول الشاعر خالد الفرج:

أعبد العزيز فدتك النفوس
وهل بعد ذلك من مدخر؟
أيا حامي العرب في دارهم
إلى الله ثم إليك المفر
ربطت الحساء بأرض الحجاز
وأقصى عسير بجوف العمر
على القلزم البحر يسري لديك
وفوق اليمين الخليج استقر
وأمنت أرجاءها الشاسعات
وحضرت بدوانها بالمدر
وأدخلت فيها ضروب القرى
ومن كل مستحدث مبتكر

فإنه إنجاز عظيم تحقق خلال توحيد المملكة وتمخضت عنه إنجازات متوالية بعد توطيد الأمن والاستقرار، ففي مثل هذا اليوم ننظر إلى الحاضر بكل صور الفخر والاعتزاز ونستلهم منه زادنا للمستقبل.

فإن ملحمة الملك عبد العزيز الكبرى حولت المجتمع السعودي إلى مجتمع متوحد متآلف، فاليوم الوطني هو يوم مشرق في تاريخ المملكة، فهو يمثل الوحدة الوطنية، وكيان ومستقبل شعب المملكة الغالي، ومن يحاول أن يسترجع صورة الماضي البعيد القريب وما هي عليه المملكة اليوم سيجد عجباً في هذه المقارنة بعد أن اكتملت عناصر التطوير والحضارة وأصبحت معيشة المواطن السعودي من أرفع وأرقى المستويات بين شعوب العالم عدا عن الثقل السياسي الذي نالته المملكة نتيجة حنكة واقتدار حكامها مما جعلها محل تقدير واحترام دول العالم، ولعل عصر الملك عبد الله الزاهر لهو امتداد لتلك العصور المشرقة حيث ما لمسناه خلال عام من البيعة الزاهرة، فذكرى اليوم الوطني هي موعد مع فجر مشرق وغد حافل بالآمال والتطلعات والأماني.

قبل الختام:

ليس من السهل أن تكتب الأقلام عن إنجازات وطن كبير بحجم المملكة العربية السعودية، وطن له حضوره الدولي على كافة الأصعدة، ووطن عرف بخصائص العشيرة البرية الأصيلة التي تميز أبناءه، فمهما حاولت الكتابة والاستعراض فلن أجد طريقة لترجمته، ولكنني أعتقد أن أهم مكسب تحقق لي هو الانتماء لهذه الأرض التي احتضنتني، ولهذا الشعب الكريم الذي احتواني بإنسانيته طوال هذه السنوات، ومن هذا الانتماء أمد يدي لأصافح الجميع بهذه المناسبة الوطنية العظيمة.

كلمة صدق:

واليوم ونحن في رحاب هذه الذكرى الغالية نتضرع إلى الله عز وجل أن يديم نعمته على هذه البلاد ويحفظها من كل مكروه، ويحفظ لنا قائدها الغالي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وسمو ولي عهده الأمين، والشعب السعودي بأكمله، وكل عام والوطن السعودي بألف خير..

وأردد مع الشاعر محمد عباس خلف:

وطن الأماجد للجميع الأسبقُ
هذي معاليه الفريدة تشرقُ
كلٌ له في اليوم عز حياته
وطني وفي يوم العلا يتألقُ
اليوم، يوم الفخر، نحن جميعنا
في أمة والخير فيها يغدقُ
عشنا السنين وكلها يسر لنا
واليوم (عبد الله) خير يدفقُ

للتواصل:
ص.ب ٤٠٧٩٩ الرياض ١١٥١١